المحاضرة الثانية: مدخل إلى فقه النوازل

1 –التعريف اللغوي للنوازل:

جاء في لسان العرب: " النازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النَّزال. المحكم: والنازلة الشدّة من شدائد الدهر تنزل بالناس، نسأل الله العافية. التهذيب: يقال تنزَّلت الرحمة. المحكم[1]: تنزلت عليه الرحمة نزل عليهم العذاب كلاهما على المثل. نزل به الأمل: حلّ، وقوله أنشده ثعلب:

أعزز عليّ بأن تكون عليلا أو أن يكون بك السَّقام نزيلا.

جعله كالتّنزيل من الناس أي وأن يكون بك السَّقام نازلا...."[2]

2–التعريف الاصطلاحي للنوازل[3]: يقصد بنوازل تلك الفتاوى المرتبطة بفقه الواقع والأحداث الواقعية المستجد، حيث تشمل جميع مناحي الحياة (الدينية والفقهية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والعلمية). ومن خلال تصفح كتب النوازل نجد أن أغلبها من طبيعة العابدات والمعاملات. اشتهرت النوازل بالغرب الإسلامي، وبالضبط إفريقية والمغرب والأندلس، يستند فيها النوازلي إلى المذهب المالكي. تتكون النازلة من سؤال يطرحه المستفتي، وقد يكون باللغة العربية السليمة من الأخطاء، أو بلغة عامة الناس، ومتنه يكون وجيزا أو مسهبا، وقد يكون سؤالا واحد، أو سؤالا رئيسيا مرفقا بمجموعة من الأسئلة، كما يبدوا ذلك في كتب النوازل. أما الإجابة فهي مرتبطة أساسا بنص السؤال، فقد تكون في سطر أو سطرين، أوقد يتعدى ذلك كله إلى صفحة أو صفحتين أو أكثر من ذلك.[4]

---

[1] – **المُحكم و المحيط الأعظم** هو معجم لغوي لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده المتوفي سنة 458هـ.

[2] – ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العَبيدي، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان، 1431 هـ / 2010م، ج8، ص387.

[3] –للمزيد من التفاصيل أنظر: – عبد العزيز وصفي، **فقه النوازل عند الفقهاء المالكية، أهميته و خصائصه و مميزاته**، مجلة الشهاب، المجلد4، العدد4، ربيع الأخر 1440هـ/ ديسمبر 2018م، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص227–296.

[4] – جميل حمداوي، **فقه النوازل في المغرب الإسلامي نحو مقاربة تأصيلية**، شبكة الألوكة (www.alukah.net)، ص8.

3- النوازلي: هو ذلك الفقيه المفتي، والمجتهد الذي يعلو مرتبة القاضي والفقيه في درجة الاجتهاد، حيث يستخذ كل طاقته الاجتهادية لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلة، مع مرعات الواقع بأعرافه وظروفه الشائكة و المستجدة، كما يقوم بجمع النوازل و الفتاوى والمسائل، ويقوم بتدوينها و ترتيبها وفق الفقه المالكي والأقوال المشهورة في المذهب.[5]

ولفهم الواقعة من مختلف ملابساتها، ولا سيما الوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية يتحتم على النوازلي الاحتكاك بالمجتمع لمعرفة واقعهم، وعلى هذا فإن النازلة تحتاج إلى فقه واسع يتعدى ما هو ديني وفقهي إلى ما هو واقي في جميع مناحي الحياة. ومن المعلوم أن الفقيه النوازلي تشترط فيه الشروط نفسها التي تشترط في المفتي، مع التمكن من الاجتهاد والدراية بالمذهب المالكي فقها و في علم الرجال والطبقات، والقدرة على معرفة أحوال الواقع، والخبرة والدراية بظروف النوازل وأحوالها وصفا والتشخيصا وفقها وتنزيلا.[6]

من أشهر علماء النوازل بالمغرب الإسلامي نجد:

3-1-أحمد بن يحي الونشريسي :

اعتنى المؤرخون وأصحاب التراجم بالترجمة للونشريسي، وهذا ليس بغريب لمكانته الفقهية والعلمية بين علماء المغرب الإسلامي. ويبدو من الوهلة الأولى أن التراجم كانت متشابهة، وأخذ اللاحق عن السابق، لذلك اعتمدت على الإيجاز لا من باب التقصير، ولكن من باب الإيضاح وتفادي التكرار.

هو الفقيه المفتي بالمغرب صاحب[7] " المعيار المعرب عن فتاوى افريقية"، وكتاب "الفائق"، وغير ذلك نزيل فاس المحروسة نزلها سنة (873 هـ/ 1469م -1470م)، وتوفي سنة (914هـ/ 1509م)، وهي

---

[5] - نفسه، ص13.

[6] - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص13.

[7]- للمزيد من التفاصيل أنظر: - محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، ط2، دار الغرب، الرباط، 1397 هـ / 1977 م، ص 47، 48. وكذلك:- محمد بن محمد

السنة التي أخذ فيها النصارى مدينة وهران. حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة أخذ عن شيوخه بتلمسان كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، وولده وحفيده، وأبي عبد الله الجلاب وغيرهم. انكب على تدريس المدونة، وفرعي ابن الحاجب، وكان مشارك في فنون العلم، فلما لازم تدريس الفقه قال من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره، و كان فصيح اللسان، والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه[8].

وقال أبو قاسم محمد الحفناوي: ".. من علماء الجزائر الأعلام، وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني، الذي نشأ في عصر تكالبت فيه الأعداء على السواحل الجزائرية، وخاصة وهران في الناحية الغربية من المغرب الأوسط، إذ أن سنة وفاته هي 914هـ / 1509م، وهي السنة التي استولى فيها الأسبان على وهران. ونظرا لاضطراب الحياة السياسية، وانتشار الاستبداد السياسي، فإن السلطة السياسية في ذلك الحين ضايقته فنهبت داره في سنة (874 هـ/1470م) بمدينة تلمسان التي نشأ فيها، وما كان منها إلا أن التجأ إلى مدينة فاس وأقام بها، وانكب في مدينة فاس على تدريس المدونة، وكتب ابن الحاجب، وكان متمكنا من الفقه المالكي مشتغلا به

الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تقديم و تحقيق محمد حبيب الهيلة ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985 م، ج1، ص 634، 635. وكذلك: - إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون**، بيروت لبنان، 1413 هـ . / 1992 م، ج5، ص138. وكذلك:- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفيـــن**، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1376 هـ / 1957 م، ج2، ص 205.وكذلك:- خير الدين الزركلي، **كتاب قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من المغرب المستعربين و المستشرقين**، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992 م، ج2، ص203. وكذلك:- كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997، ص5، 9. وكذلك:- عمار طالبي،" الونشريسي "، **مجلة الأصالة**، العدد ، 83 / 84 ، الجزائر ، شعبان . رمضان 1400 هـ / جويلية ، أوت 1980 م، ص 46.

[8] - أحمد بن محمد ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار النصر للطباعة، 1390 هـ / 1970 م، ج1، ص 91، 92 .

تعليما و تأليفا و فتيا، كما أنه اشتهر بالنحو، و فصاحة اللسان و القلم، وتولى منصب الإفتاء بفاس التي هاجر إليها...".[9]

عرف به المقري في مواضع من كتابه نفح الطيب فقال: "..هو شيخ شيوخ شيوخنا الإمام الكبير المؤلف الشهير عالم المالكية سيدي أحمد الونشريسي صاحب التآليف العديدة كالمعيار المعرب، وهو في ستة مجلدات ...ولو لم يكن له غيره لكان كافيا، وله مصنفات كثيرة، أكثرها في مذهب مالك ولم يؤلف في المذهب مثلها، كان مشارك في فنون من العلم إلا أنه لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه أنه لا يحسن غيره، وكان فصيح اللسان و القلم حتى كان بعض من يحضره يقول: لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه".[10]

ويقول أحمد بابا التنبكتي بعدما أفرد لنا حياته و تآليفه: "... أخبرني به صاحبنا محمد بن قاسم القصار مفتي فاس وإمام جامع القرويين بها أنه توفي يوم الثلاثاء عشرين من صفر من سنة (914هـ/1509م)."[11]، وهذا المتفق عليه عند جل المترجمين.

أ- مشايخه:

تتلمذ الونشريسي على عدة علماء، و من أشهرهم في تلك الفترة نجد:

- أبو الفضل العقباني:

هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد الحافظ القدوة، لم تذكر كتب التراجم تاريخ ميلاده. أخذ العلم عن والده الإمام أبي عثمان و غيره، وحصل

---

[9] - محمد أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، الجزائر، 1334 هـ / 1906 م، ج1، ص 59.

[10]- أحمد بن محمد المقري، **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1388 هـ- 1968 م، ج5، ص 207- 209م.

[11] - أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: محمد مطيع، المغرب، 2000م، ج1، ص130،131.

العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد، وله اختيارات خارجة عن المذهب نازعة في كثير منها. وقال في حقه أحمد الونشريسي "هو شيخنا مفتي الأمة علامة المحققين و صدر الأفاضل المبرزين، أجل الأئمة "[12]، وقال عنه أبو زكريا يحي المازوني في أول نوازله: " هو شيخنا شيخ الإسلام علم الأعلام العارف بالقواعد والمعاني أبو الفضل العقباني"[13]، كان يدرس بتلمسان مختصر ابن أبي زيد للمدونة ومختصر الخليل، و الحكم لأبن عطاء الله، و شرحها لابن عباد، والحوفي بطريق الصحيح و المكسور، والمنساخات من شرح والده سعيد، و" المختصر في أصول الدين" وغيرهم. أدى مناسك الحج سنة (830 هـ/ 1426م-1427م)، وحضر بمصر إملاء ابن حجر العسقلاني، واستجازا ابن حجر فأجازه. له تعليق عن ابن الحاجب الفرعي، وأرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر وغيره. من تلاميذه الإمام ابن العباس، وأبو البركات النائلي، وولده القاضي أبو سالم العقباني، و حفيده القاضي العلامة محمد بن أحمد وأبو زكريا المازوني و الونشريسي، والعلامة ابن زكري ومحمد بن محمد بن مرزوق[14].

توفي في ذي القعدة سنة (854هـ/1451م-1452م)، وصلي عليه بجامع الكبير بتلمسان، ودفن قرب الشيخ ابن مرزوق[15].

- أبو سالم العقباني:

هو إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، قاضي الجماعة بتلمسان، وكنيته أبو سالم، من العلماء البارزين، الحافظ ابن شيخ الإسلام مفتي أبي الفضل قاسم، ولد بتلمسان سنة (808هـ/ 1406م- 1407م)[16]، أخد العلم عن أبيه وغيره من العلماء الذين عاصروه، وحصّل

---

[12]- محمد بن محمد ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء من تلمسان**، راجعه: محمد بن شنب، المطبعة الثعالبية، 1326هـ/ 1908م، ص 147.

[13]- نفسه، ص148.

[14]- نفسه، ص149.

[15]- نفسه، ص 147.

[16] - التنبكتي، المصدر السابق، ص 172.

العلم، وبرع، وألف، وأفتى، وتولى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد بن قاسم، وقال الشيخ أحمد زروق: "...وكان أبو سالم هذا فقيها تولى القضاء بتلمسان، وكان مشكورا "[17]، وأخذ عنه أبو العباس عبد الواحد الونشريسي بعض فتاوى في "المعيار.."، وأثنى عليه ونقل عنه المازوني في نوازله. توفي بتلمسان سنة (880هـ/ 1475م-1476م).[18]

– أبي عبد الله الجلاب:

هو محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني، الفقيه العالم أحد شيوخ أبي العباس أحمد الونشريسي، و الإمام السنوسي، و يقول هذا الأخير: " أنّه حافظ لمسائل الفقه، وقال الملالي: "...ونكر كثير من الفقهاء أن الشيخ ختم عليه المدونة مرتين"، ونقل عنه المازوني، والونشريسي بعض فتاويه في نوازلهما. توفي سنة (875هـ/ 1472م)[19].

ب– تلاميذه:

من تلاميذه ابنه عبد الواحد (توفي 955هـ)[20]، وأبو زكريا السنوسي، ومن أبرز تلاميذه أيضا الفقيه القاضي محمد بن الغرديس التغلبي. ويذكر المؤرخون أن خزانة الفقيه محمد بن الغرديس التغلبي كانت عظيمة تحتوي على عدد كبير من المؤلفات استفاد الونشريسي منها كثيرا في تأليف كتبه خاصة كتابه المعيار الذي هيأت له هذه المكتبة الفتاوى الخاصة بفقهاء فاس، وفقهاء الأندلس، ويذكر الحفناوي أنه

---

[17] – ابن مريم، المصدر السابق، ص58، 59.

[18] – التنبكتي، المصدر السابق، ص 172.

[19] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 236.

[20] – ولد بفاس بعد الثمانين ثمان مائة، أخذ العلم عن أبيه وابن غازي، وابن هارون ومحمد بن عبد الجبار الورتدغري، ومحمد بن عيسى المقيلى (توفي 875هـ / 1472م)، كان متقدما في الوثائق والإنشاء بلا تكلف، تولى القضاء ثم الفتوى بعد ابن هارون وكان عادلا مهيبا فصيحا العبارة، أية في الإنشاء يطالع كتب النوازل له نظم كثيرة، نظم قواعد أبيه " إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام عبد الله مالك. توفي مقتولا في ذي الحجة سنة (955 هـ). للمزيد من التفاصيل أنظر: – التنبكتي، المصدر السابق، ص308.

استفاد من نوازل البرزلي، والمازوني، فيما يتعلق بفتاوى افريقية، وفتاوى فقهاء تلمسان[21] ويبدو ذلك جليا من خلال الفتاوى الواردة في المعيار.

جـ- تآليفه:

-كتاب " **القواعد** " في الفقه المالكي

- كتاب " **الفائق في الوثائق**"[22] يقال أنه لم يكمله.

-كتاب " **الفروق** " في الفقه.

-كتاب " إضاءة الحلل في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك "

- رسالة بعنوان " أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من عقوبات ".

- كتاب " غنية المعاصر والتالي في شرح فقه وثائق أبي عبد الله القشتالي".[23]

- كتاب " **إيضاح السالك إلى قواعد الأمام مالك** "(مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 975 / 2).

- كتاب " القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن حاجب".[24]

- كتاب " مختصر أحكام البرزلي ".[25]

---

[21] - الحفناوي، المصدر السابق، ص59.

[22] - التنبكتي، المصدر السابق، ص131.

[23] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 53.

[24] - نفسه.

[25] - نفسه، ص 53.

- كتاب " **الأسئلة و لأجوبة** " وهو عبارة عن أجوبة كتبها بتلمسان عن أسئلة لشيخه محمد القروي بفاس (مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1/864).

- كتاب" **الخزرجية في العروض** "(مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 87/ 2).

- كتاب" **الولايات** " تناول فيها الخطط الشرعية في سبع عشرة ولاية.

- كتاب " **المقري الجد** " تأليف في الترجمة.

- كتاب " **الوفيات** "[26]

-. كتاب " حل الرقبة عن أسير الصفقة "

-كتاب " **الفهرس** " وضعه برسم تلميذه القاضي ابن عبد الجبار.

- كتاب " أقضية المعيار في التاريخ ".

[26] - نفسه، ص 107.